

مقاومة الشرق الجزائري بقيادة أحمد باي (1830-1848)

مقدمة:

بعد انتهاء المقاومة الرسمية بتوقيع الداي حسين معاهدة الاستسلام مع الكونت دوبرمون 5 جويلية 1830، واجه الفرنسيون الغزاة أشكالا أخرى من المقاومة، منها مقاومة سياسية قامت بها طبقة التجار والعلماء وأحيانا المدن، تزعمها حمدان بن عثمان خوجة وزملاؤه، ومقاومة شعبية دينية قام بها عرب البادية من الفلاحين وعمال الأرض ورؤساء القبائل ورجال الدين لدوافع جهادية دينية وطنية (الدّود عن الوطن)، تزعمها زعماء مرابطون في مقدمتهم ابن زعمون، والحاج سيدي سعدي، والآغا محي الدين بن المبارك، الذين حاولوا منع التقدم الجيش الفرنسي خارج العاصمة فقاتلوه في منطقة متيجة.

كما قاد هذا النوع من المقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري، إضافة إلى مقاومة ممثلوا الإدارة العثمانية بعد سقوط الحكومة المركزية دفاعا عن مصالحهم، و مقومات شخصيتهم الإسلامية (العادات، الدين الإسلامي، الهوية العربية)، تولى هذا النوع من المقاومة باي التيطري مصطفى بومرزاق وابنه السّي أحمد، والحاج أحمد باي قسنطينة .

1- من هو أحمد باي؟

يعتبر الحاج أحمد باي (1784-1850) من كراغلة الجزائر، ولد بقسنطينة من أب تركي، و أم جزائرية تدعى الحاجة الشريفة من عائلة ابن قانة من منطقة الزيبان ببسكرة، بعد وفاة والده (محمد الشريف)، احتضنه أخواله ابن قانة بالزيبان، و أعانوا والدته على تربيته و تعليمه، حيث تعلم اللغة العربية و حفظ القرآن الكريم، و حج البقاع المقدسة في سن مبكرة. تولى والده منصب خليفة للباي حسين باشا، بينما كان جده (أحمد القلي) بايا على

بايليك الشرق خلال فترة(1755-1771) ،وفي سنة 1826 قام حاكم الجزائر الداي حسين(1818-1830) بتعيين الحاج أحمد بايا على بايليك الشرق (قسنطينة)

2-موقفه من الحملة الفرنسية على الجزائر 1830:

أدى أحمد باي رحلة(الدانوش) إلى العاصمة سنة 1830،و هي الرحلة التي كان يقوم بها بايات كل ثلاث سنوات إلى العاصمة لتقديم تقرير عن حالة الإقليم و دفع الالتزام المالي للداي و تجديد الولاء له.و أثناء لقائه بالداي حسين أعلمه هذا الأخير بمشروع الحملة الفرنسية المستهدفة للجزائر ، وطلب منه الاستعداد للمشاركة في التصدي لها.

شارك في الاجتماع التحضيري باسطاوي، الذي حضره الآغا ابراهيم قائد الجيش،و خوجة الخيل ، و خليفة باي وهران،و باي التيطري مصطفى بومزراق، و قدم أحمد باي رأيه حول الخطة المناسبة لمواجهة العدو،إلا أن قائد الجيش لم يأخذ بها.

و بعد نزول الحملة بسيدي فرج ،شارك في معركة سيدي فرج جوان 1830 التي فقد فيها حوالي 200 من جنوده،،و لما سقطت العاصمة، انسحب بقواته رفقة حوالي 1600 من الأهالي الفارين من الجيش الفرنسي ،في اتجاه قسنطينة.

3-مقاومة أحمد باي لأطماع الفرنسيين التوسعية في قسنطينة(1936-1937):

أبى أحمد باي الاستسلام للفرنسيين و الإعراف بهم،و استعد لمقاومتهم في حملتهم العسكرية الأولى بقيادة الجنرال (كلوزيل)المستهدفة لعاصمة بايليكه (قسنطينة) خلال شهر نوفمبر 1836، و كبدهم خسائر هامة في الأرواح و المعدات الحربية،كما دفعت الهزيمة بفرنسا إلى عزل كلوزيل من قيادة الجيش و تعيين (دامريمون) بدلا منه،و أصرت على احتلال قسنطينة،و أعدت العدة لذلك،حيث قامت في هذا الصدد بتوقيع معاهدة التافنة 30 ماي 1837 مع الأمير عبد القادر، حتى تتفرغ لسحق مقاومة أحمد باي في

الشرق، و جهزت جيشا قوامه 11 ألف جندي بقيادة الجنرال (دامريمون)، الذي قاد الحملة العسكرية الفرنسية الثانية على قسنطينة خلال شهر أكتوبر 1837 وتمكنت قواته من احتلال المدينة، رغم استماتة الشعب في الدفاع عن المدينة في كل مكان، و في الشوارع، وتلقت قوات أحمد باي في المعركة خسائر فادحة في الأرواح، و تكبدت أيضا قوات العدو خسائر جسيمة في العتاد الحربي و الأرواح، حيث فقدت مئات القتلى، ولقي أيضا القائد ((دامريمون)) مصرعه.

4- استمرار أحمد باي في مقاومته للاحتلال الفرنسي بعد سقوط قسنطينة (1837-1848):

بعد سقوط قسنطينة انسحب أحمد باي إلى جبال الأوراس و قرى الزيبان و أصر على إعادة تنظيم المقاومة و استرداد المدينة خلال فترة (1837-1848)، إلا أنه فشل في تحقيق ذلك بسبب مواجهته مجموعة من الخصوم على رأسهم فرحات بن سعيد بالزيبان، الذي تحالف مع الفرنسيين ضده طمعا في المنصب، و أخواله أولاد ابن قانة الذين انقلبوا عليه، بعدما نجحت فرنسا في استمالتهم إلى صفها عن طريق إغراقهم بالمنصب (الآغا)، و تأمر باي تونس عليه، و انعدام المساعدات الخارجية لا سيما من طرف الدولة العثمانية بسبب الظروف الحرجة التي كانت تمر بها، إضافة إلى الانعكاسات السلبية لمعاهدة التافنة 1837.

استغلت فرنسا هذه الظروف و اتصلت بأحمد باي بجبل أحر خدو بالأوراس، و عرضت عليه الاستسلام مقابل إعادة أملاكه و اختيار الوجهة الإسلامية التي يريد الاستقرار بها، فاستجاب لذلك و سلم نفسه للفرنسيين بباتنة سنة 1848، إلا أن الغزاة

نكثوا عهدهم ،بعدها قاموا بنقل أحمد باي إلى العاصمة و أخضعوه لرقابتهم لغاية وفاته
سنة 1850.